

التناسب في صحيح البخاري " كتاب الأدب أنموذجاً"

The Coherence in Sahih Al-Bukhari: Ethics Chapter as a Sample

د. محمد راغب الجيطان^{1*}، أ. خديجة جاسر ابن بري²

كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، m.jetan@najah.edu

كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، khadijaabari.96@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/01/30

تاريخ الاستلام: 2021/12/30

ملخص:

هدفت الدراسة إلى الوقوف على ظاهرة التناسب بين كتب صحيح البخاري وأبوابه والأحاديث الواردة تحتها؛ بهدف إبراز جانب هام من الجوانب التي اعتنى بها الإمام البخاري وهي التسلسل الفكري المنظم لفقهِ الأبواب والأحاديث، من خلال الدراسة التطبيقية على كتاب الأدب لما فيه من تناسبٍ أدركه بعض العلماء وفهمه، وخفي عن الكثيرين. وبعد تتبع الدراسات التي اعتنت بهذا الاتجاه والوقوف على تراجم كتاب الأدب وفق علم التناسب وتحليلها؛ وقفنا على دلالات عميقة قصدها البخاري، منها تبيين المجل، وتخصيص العام، وتقبيد المطلق، والتمهيد بين التراجم، إضافة إلى إبراز التناسب بين كتاب الأدب والكتاب الذي قبله والذي بعده، وكذا التناسب بين أبوابه وترتيبها، وبين الترجمة وأحاديثها، والتناسب بين الحديث الأول والخاتم من الكتاب نفسه.

الكلمات المفتاحية: البخاري، التناسب، كتاب الأدب، الصحيح.

Abstract:

This study aims at examining coherence in Sahih Al-Bukhari books as well as chapters in addition to the Hadiths which are included in these books and chapters. The motivation for this is to highlight an approach which was adopted by Al-Bukhari which is the organized intellectual sequence by which he organized the chapters and the Hadiths included in these chapters. This is performed through an applicable study which was applied on Ethics Chapter to highlight the coherence there which was known by few scholars, but still hidden to the majority.

* المؤلف المرسل

Having followed the studies which adopted such an approach, and having examined the titles the Hadiths of Ethics, we found that there were deep intentions. Such intentions were meant to be by Al-Bukhari. Some of them are: clarifying the abstract or the summaries, specifying the general, restricting the absolute, and the introductions of titles of chapters. In addition, the study highlighted the coherence between the Ethics Book and the book which preceded it, and the other which followed it. Moreover, the coherence between all of the book's chapters, titles, and Hadiths were discovered. Furthermore, there was coherence between the first Hadith and the final one in the book itself.

Keywords: Al-Bukhari; The Coherence; Ethics Chapter.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن المدقق في صحيح البخاري يجد منهجاً فريداً في التناسق البديع والتناسب الدقيق لاختيارات الإمام البخاري في ترتيب صحيحه، سواء في ترتيب كتبه، أو ترتيب تراجمه، أو ترتيب أحاديثه، وفق منهج علمي محكم، بحيث يقصد من هذا الترتيب معاني عديدة. فجاءت هذه الدراسة التي بعنوان: "التناسب في صحيح البخاري، كتاب الأدب أنموذجاً"، للوقوف على الأسرار الكامنة وراء التناسب بين كتب الجامع الصحيح وأبوابه وأحاديثه، تبرز من خلالها قوة حفظ الإمام البخاري ودقته، وسعة فقهه وعلمه.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على ظاهرة التناسب بين كتب صحيح البخاري وتراجمه وأحاديثه، ودلالة كل ذلك، دراسة تطبيقية على كتاب الأدب، إضافة إلى إبراز دقة الإمام البخاري في تصنيف الجامع الصحيح، وحسن انتقاء المتن، والوقوف على معاني جديدة ضمنها البخاري كتبه وتراجمه وأحاديثه التي انتقاها.

مشكلة الدراسة: جاءت الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أهمية معرفة التناسب في صحيح الإمام البخاري؟
2. ما وجوه دلالة التناسب في صحيح الإمام البخاري؟
3. ما مواضع التناسب في كتاب الأدب في صحيح الإمام البخاري؟

أهداف الدراسة: تمتلّت أهداف الدراسة بالآتي:

1. بيان أهمية معرفة التناسب في صحيح البخاري.
2. الكشف عن وجوه دلالة التناسب في صحيح البخاري.
3. إبراز مواضع من التناسب في كتاب الأدب من صحيح البخاري.

الدراسات السابقة:

إنّ اعجاب العلماء بصحيح البخاري واهتمامهم به أثمر كثيراً من الدراسات، وعلى الرغم من كثرتها وتتنوع اتجاهاتها إلا أنّ جانب الدراسات التي اعتنت بالكشف عن التناسب في الصحيح ما زالت بحاجة إلى مزيد بحث ودراسة، ومن الدراسات التي اعتنت بهذا الجانب:

1. دراسة: "التناسب في صحيح الإمام البخاري" دراسة تأصيلية¹، للدكتور علي عجين، وهدفت الدراسة إلى تأصيل فكرة التناسب، وكشفها في صحيح البخاري، وبيان مفهومها وأنواعها، ومعرفة علل ترتيب صحيح البخاري؛ في كتبه وأبوابه وتراجمه وأحاديثه، من خلال استقراء المصنفات التي اعتنت ببيان التناسب في صحيح الإمام البخاري.

2. دراسة: "إرشاد القاري إلى منهج الحافظ ابن حجر في توجيه مناسبات الإمام أبي عبد الله البخاري (من أوّل الكتاب إلى باب الزكاة)" ، للدكتور محمد فرج الزاوي، وهدفت الدراسة إلى بيان منهج ابن حجر في توجيه مناسبات الإمام البخاري؛ من خلال المواضع التي ذكر فيها ابن حجر المناسبة أو المطابقة بين الترجمة والحديث في كتابه فتح الباري، وبيّنت تنوع أسلوب ابن حجر في عرض المناسبة، ومنهجه في توظيف المناسبة لفهم الدليل أمام القارئ.

3. دراسة: "دلالات التناسب اللغوي في صحيح البخاري: دراسة تحليلية أسلوبية" ، للباحثة عادة عمر محمد قنديل، وهدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن دلالات التناسب اللغوي في أحاديث صحيح البخاري؛ من خلال تبين مواطن المناسبات فيها، وتحليلها وفق سياقها، والوقوف على ما فيها من سمات أسلوبية، ومقاصد بلاغية.

منهجية الدراسة: قامت الدراسة على المنهجين التاليين:

1. المنهج الاستقرائي: وكان ذلك من خلال استقراء للكتب التي اعتنت ببيان التناسب في صحيح البخاري، واستقراء شرح كتاب الأدب من صحيح البخاري من شروحاته، ثم رصد مواضع التناسب فيه.

¹ عجين، علي إبراهيم سعود، التناسب في صحيح الإمام البخاري "دراسة تأصيلية"، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، 2010م.

2. المنهج التحليلي: وذلك بتحليل ما تم رصده من مواضع التناسب في كتاب الأدب، وتقسيمها إلى أنواع، وإبراز أوجه دلالات الترابط والتناسب بين أجزائها، إضافة إلى إعمال الفكر والنظر والاجتهاد في المواطن التي لم نجد فيها قولاً.

خطة الدراسة:

قُسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: مفهوم التناسب وأهميته.

المبحث الثاني: وجوه دلالة التناسب في صحيح البخاري

المبحث الثالث: مواضع من التناسب في كتاب الادب.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول: مفهوم التناسب وأهميته:

يتناول هذا المبحث دراسة ماهية التناسب من حيث اللغة والاصطلاح، وبيان أهميته، وتوضيح مقصدنا من التناسب في هذه الدراسة.

المطلب الأول: معنى التناسب لغةً واصطلاحاً:

أولاً: التناسب لغةً:

يعود التناسب في مبناه إلى الأصل اللغوي (نَسَبَ)، قال ابن فارس: "نَسَبَ) النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به"، والنسب: "الطريق المستقيم لاتصال بعضه ببعض"¹.

والمناسبة تعني: المشاكلة، تقول: "ليس بينهما مناسبة أي: مشاكلة"². "وبين الشئيين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل"³، قال الزركشي: "المناسبة في اللغة المقاربة، وفلان يناسب فلاناً يقرب منه ويشاكله، ومنه النسب الذي هو القريب المتصل"⁴.

ونخلص مما سبق إلى أن التناسب يرجع إلى الاتصال والاشتراك بين الأجزاء الأساسية والفرعية، أو اشتراك الفروع فيما بينها، بسبب ما بينهم من مشاركة.

ثانياً: التناسب اصطلاحاً:

التناسب اصطلاحاً: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه"⁵، وقيل هو: "الرابطة بين شئيين بأي وجه من الوجوه"⁶. وقيل: "العلاقة المعنوية التي تربط بين الترجمة والمترجم له"⁷.

¹ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، مادة نسب، (423/5-424).

² انظر: ابن منظور، لسان العرب، (253/2). والجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ- 1987م، باب الباء، فصل النون، (224/1) (224/1). تصوب كل المواضع المشابهة.

³ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (265/4).

⁴ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ - 1957م، (35/1).

⁵ البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر (885هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ- 1995م، (5/1).

⁶ مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ط4، دار القلم، دمشق، 1426هـ - 2005م، ص58.

⁷ ينظر: الزين، علي بن عبد الله، تراجم أحاديث الأبواب دراسة استقرائية في اللغة واصطلاح المحدثين من خلال صحيح البخاري، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع5، 1412هـ، ص158.

وقد فسّر الإمام الزركشي هذا الارتباط فقال: "مرجعها إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلّة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"¹.

ومن هنا يتبين الترابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، إذ لا تتم المشاكلة إلا بوجود أمر يربط بين الشئيين أو يقارب بينهما"².

ونقصد من التناسب في هذه الدراسة: ما أودعه الإمام البخاري -رحمه الله-، ونسّقه تنسيقاً بديعاً من التناسب في ترتيبه لكتابه الصحيح، وتحديداً التناسب في كتاب الأدب.

المطلب الثاني: أهمية علم التناسب.

لعلم التناسب أهمية تبرز في الأمور الآتية:

1. بيان قوة ترابط الكلام:

قال الزركشي: "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول...، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"³، وقال الإمام الفخر الرازي: "أكثر" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"⁴.

2. الوقوف على المعنى الدقيق دون إفراط أو تفريط: "ولعلم المناسبة أهمية جلييلة تسهم في دقة فهم المعنى، وإحكام بيانه، وانتظام دلالاته، وجمال أسلوبه وروعته؛ وقد كان ميدان هذا العلم: دراسة أوجه التناسب بين سور القرآن الكريم وآياته، وأوجه التناسب بين فواتح السور وخواتيمها، وتعلق أوجه التناسب بين الآية وما قبلها وما بعدها، أو بين السورة وما قبلها أو بعدها"⁵.

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (35/1). انظر: القطان، مناع بن خليل (ت: 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف، 1421هـ- 2000م، ص97.

² انظر: مشاهرة، مشهور موسى، التناسب القرآني عند الإمام البقاعي -دراسة بلاغية-، الجامعة الأردنية، 2001م، ص37.

³ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (36-35/1).

⁴ الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث التراث العربي، بيروت، 1420هـ، (110/10)

⁵ انظر: قنديل، دلالات التناسب اللغوي في صحيح البخاري: دراسة تحليلية أسلوبية، ص19.

3. إبراز التسلسل الفكري في التصنيف:

قال علي العجين: "والتناسب يشكل "الفكر المنظومي" للإمام البخاري، الذي بنى كتابه كمنظومة متكاملة مترابطة، يبنى آخرها على أولها، وأولها على آخرها، من أول كتاب إلى آخر كتاب"¹، وترجع هذه المنهجية الفكرية العبقريّة في تأليف البخاري لصحيحه إلى ثلاثة أمور، أولها: اشتراطه أعلى درجات الصحة في الحديث، وثانيها دقة الاستنباط الفكري في التراجم، وثالثها التناسب بين الكتب والأبواب والتراجم والأحاديث².

فالقارئ لصحيح البخاري يلاحظ التناسب البديع في ترتيب كتبه، والتناغم بين أبوابه، والمناسبة بين التراجم والأحاديث، والتناسب والترتيب في سرد أحاديث الباب الواحد، وفي اختيار الحديث الأخير في الباب، وارتباط آخر حديث في الكتاب مع الكتاب الذي بعده، والتناسب بين أول حديث بدأ البخاري به الكتاب وآخر حديث خُتم به.

¹ عجين، التناسب في صحيح البخاري، ص9.

² انظر: المرجع السابق، ص8.

المبحث الثاني: وجوه دلالة التناسب في صحيح البخاري:

كعادة المصنفين في الحديث؛ لم ينص الإمام البخاري على طريقته في ترتيب كتب الجامع الصحيح، وترتيب أبوابه وأحاديثه، وربما ترك ذلك بغرض: "شذ الأذهان في إظهار مضمرة واستخراج خبيئه"¹، إضافة إلى أنه "استخَرَجَ بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها على أبواب بحسب تناسبها"²، لذا فإن كل كتاب من كتب الصحيح انعكاس لمنظومة متكاملة ذات بداية ونهاية.

والكشف عن هذا التناسب وبيان علة الترتيب يحتاج إلى اجتهادٍ وتتبع واستقراء تام لمواضعه في الصحيح وربطها بعضها ببعض، فتصدى لذلك بعض من الأئمة الكبار بنظرٍ عميقٍ واجتهادٍ دقيق، منهم: الإمام بدر الدين بن جماعة (733هـ)، الذي ألف كتاباً أسماه "مناسبات تراجم البخاري"، والإمام البلقيني (805هـ) في كتابه "تراجم البخاري المسمى مناسبات أبواب صحيح البخاري لبعضها بعضاً، والإمام ابن حجر (852هـ)، في كتابه "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، ومقدمته "هدى الساري".

وفيما يلي بسط لأوجه التناسب في كتاب الأدب من صحيح البخاري، من قبيل التمثيل لا الاستقصاء، وقوفاً على دلالاته، وفهم أسرارها، وبيان ذلك كالاتي:

المطلب الأول: دلالات التناسب الواقعة بين الترجمة والترجمة

أولاً: التناسب على أساس التكميل والتبيين:

يعد التناسب القائم على أساس التكميل والتوضيح من أوجه الدلالات على التناسب في صحيح البخاري، إذ ترد بعض الأبواب والأحاديث مكتملة وموضحة لما سبقها، ومن ذلك:

التناسب بين (باب حق الضيف) وبين (باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه)، ففي الباب الأول أورد حديث عبد الله بن عمرو، قال: "دخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟" قلت: بلى، قال: «فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا،

¹ ابن حجر، هدى الساري مقدمة فتح الباري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، 1379، ص 13-14.

² المرجع السابق، ص 8. وانظر: ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: 804هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط 1، دار النوادر، دمشق - سوريا، 1429هـ - 2008م، (87/1).

وإنك عسى أن يطول بك عمر، وإن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن بكل حسنة عشر أمثالها، فذلك الدهر كله... الحديث"¹.

وفي الباب الذي يليه أورد حديثاً من طريق أبي شريح الكعبي: أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يخرجه»².

قال الخطابي: "معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده في البر على ما حضرته يوماً وليلة، وفي اليومين الأخيرين يقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه، فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة"³.

مما سبق نلاحظ التناسب بين البابين: فجاء الباب الثاني متمماً ومبيناً حق الضيف الذي أوردته في الباب الأول من قوله (وإن لزورك عليك حقاً).

ثانياً: التناسب على أساس الاستثناء بعد الإجمال.

جرت العادة عند الإمام البخاري أن يبوب للمسألة بترجمة عامة، ثم إذا أراد الاستثناء منها أتى بترجمة خاصة بعدها⁴.

ومن ذلك: في (باب الغيبة) وقول الله تعالى: ﴿لَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: 12) بعدما نبه إلى حرمتها، عقب بقوله: (باب: ما يجوز من اغتياح أهل الفساد والريب)، وفي (باب النميمة) قال: (باب ما يكره فيه النميمة)، فترجمته لهذا الباب تدل على أن هناك ما لا يكره منها؛ ولذا أعقبه بـ (باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه) للدلالة على أن فيه استثناءً.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حق الضيف، حديث رقم: 6134، (31/8).

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، حديث رقم: 6135، (32/8).

³ الخطابي، أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي (ت 388 هـ)، أعلام الحديث شرح صحيح البخاري، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط1، جامعة أم القرى، 1409هـ، (2172/3).

⁴ انظر: الكشميري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي الديوبندي (ت: 1353هـ)، فيض الباري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتھی، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، (166/6).

وفي (باب ما نهى من السباب واللعن) بعدما بيّن حرّمته، أشار في الترجمة التي تليه إلى أن ذلك مخصوص "إن كان للبيان والتميز فهو جائز، وإن كان في غير هذا السياق كالتنقيص والتغيب فلا يجوز"¹، ولذا قال: (باب: ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل والقصير).

وفي باب (ما يكره من التمداح)، ذم التمداح لما له من آثار سيئة، ثم عقّب في الباب الذي يليه الاستثناء مما سبق بقوله: (باب من أتى على أخيه بما يعلم)، قال الكشميري: "واعلم أن المصنف بوّأ أولاً بكرهه التمداح، ولما علم أن إطلاقها غير مراد، بوّأ ثانياً ليدل على استثناء فيه، كما كان فعله في الغيبة والنميمة، حيث أشار فيهما إلى استثناء، بعد كونهما من الكبائر"².

وفي باب: (الهجرة) بيّن حرّمته، ثم نبه على أن فيها استثناءً فقال: (باب: ما يجوز من الهجران)، قال ابن حجر: "أراد بهذه الترجمة بيان الهجران الجائز لأن عموم النهي مخصوص بمن لم يكن لهجره سبب مشروع، فتبين هنا السبب المسوغ للهجر"³.

وفي باب (الحياء) بعدما أشار إلى أهميته وتعظيم أمره، وأن الحياء كله خير، أردفه (بباب إذا لم تستح فاصنع ما شئت) وقصد من ذلك "إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت"⁴، ثم أراد التخصيص في هذه المسألة فقال: (باب ما لا يستحي من الحق للنفقه في الدين) للإشارة إلى أن الأمر ليس على عمومته، قال ابن حجر: "هذا تخصيص للعموم الماضي في الذي قبله، أن الحياء خير كله، أو يحمل الحياء في الخبر الماضي على الحياء الشرعي، فيكون ما عده مما يوجد فيه حقيقة الحياء لغة ليس مراداً بالوصف المذكور"⁵.

¹ ابن حجر، فتح الباري، (469/10). وانظر: ابن جماعة، بدر الدين (733هـ)، مناسبات تراجم البخاري، تحقيق: محمد إسحاق

محمد إبراهيم السلفي، ط1، دار السلفية، 1984م، ص117.

² الكشميري، فيض الباري، (141/6).

³ ابن حجر، فتح الباري، (497/10).

⁴ المرجع السابق، (523/10).

⁵ ابن حجر، فتح الباري، (524/10).

المطلب الثاني: دلالات التناسب الواقعة بين الترجمة والأحاديث الواردة تحتها: أولاً: التناسب على أساس التخصيص بعد العموم.

قد ترد دلالة التناسب بالتخصيص للمسألة بعدما يشير البخاري إليها بالعموم، ومن أوجه التناسب في هذا السياق تخصيص الإمام البخاري الحديث بالترجمة، ومن ذلك: ما جاء في باب قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: 85]. وقال: {كفل} [النساء: 85]: نصيب، قال أبو موسى: {كفلين} [الحديد: 28]: أجرين، بالحبشية. وقد أورد البخاري قبله حديث أبي موسى عن النبي ﷺ: «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبٌ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجْهِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُوَجَّرُوا، وَلِيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»¹.

قال ابن حجر: "وقد عقب المصنف الحديث المذكور قبله بهذه الترجمة إشارة إلى أن الأجر على الشفاعة ليس على العموم بل مخصوص بما تجوز فيه الشفاعة وهي الشفاعة الحسنة وضابطها ما أذن فيه الشرع دون ما لم يأذن فيه كما دلت عليه الآية"². يقصد ابن حجر الحديث الذي أخرجه البخاري في الباب السابق وهو (قوله باب تعاون المؤمنين بعضهم بعض)

وأردف باب (حق الضيف) بباب (إكرام الرجل ضيفه وخدمته إياه بنفسه)، قال العيني: "أي: الضيف بنفسه، وهذا تخصيص بعد التعميم لأن إكرام الضيف أعم من أن يكون بنفسه أو بأحد من خدمه وفيه زيادة تأكيد لا تخفى"³.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، (قوله باب تعاون المؤمنين بعضهم بعض)، حديث رقم: 6026، (12/8).

² ابن حجر، فتح الباري، (451/10).

³ العيني، عمدة القاري، (174/22).

ثانيا: التناسب على أساس بيان حكم شرعي.

اعتنى الإمام البخاري باستخراج الفوائد الفقهية والأحكام الشرعية من فهمه للمتون، ولم يكن "مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها، والاستدلال لأبواب أَرادها"¹. وقال ابن حجر: "ثم رأى ألا يُخلّيه من الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة"².

وقد اجتهد شراح صحيح البخاري في بيان الأحكام التي أودعها الإمام البخاري في تراجمه، واستخراج المناسبة بين الأبواب والأحاديث والأمثلة على ذلك كثيرة. ومن ذلك: ما أورده البخاري في (باب صلة المرأة أمها ولها زوج)، ذكر فيه حديثين: أولهما: حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي ﷺ، مع ابنها، فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة؟ فأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك»³. ثانيهما: حديث أبي سفيان في قصة هرقل: أن هرقل أرسل إليه، فقال: - يعني النبي ﷺ - يأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والصلة"⁴. "والمراد منه ذكر الصلة فيؤخذ حكم الترجمة من عمومها"⁵.

قال ابن بطلال: "فقه الترجمة من حديث أسماء أن النبي ﷺ أباح لأسماء أن تصل أمها ولم يشترط في ذلك مشاورة زوجها"⁶. ومثاله: ما جاء في (باب هجاء المشركين)، قال ابن حجر: "أشار البخاري بهذه الترجمة إلى أن بعض الشعر قد يكون مستحبا"⁷.

¹ ابن حجر، هدى الساري، ص8.

² المرجع السابق، ص8.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الأم ولها زوج، حديث رقم: 5979، (4/8).

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الأم ولها زوج، حديث رقم: 5980، (4/8).

⁵ ابن حجر، فتح الباري، (413/10).

⁶ ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (449هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، 1423هـ - 2003م، (202/9).

⁷ ابن حجر، فتح الباري، (546/10).

وفي (باب المعاريض مندوحة عن الكذب) فهذه الترجمة معقودة لجواز التورية والتعريض، "ومعنى الترجمة: أن في المعاريض من الاتساع ما يغني عن الكذب"¹. قال الهاشمي: ذكر البخاري حديث أنس في قصة ابن أبي طلحة، وشاهد الترجمة من قول أم سليم: (هدأ نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح وظن أنها صادقة). ثم ذكر حديثه في قصة أنجشه والمراد منه قوله: (رفقاً بالقوارير)؛ فكأن بذلك عن النساء. ثم ذكر حديثه في قصة غرس بن أبي طلحة، والمراد منه: (ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحراً) أي لسرعة جريته². وقد خلص هذا المبحث إلى نتيجة مفادها، أن للتناسب في صحيح البخاري أوجه من الدلالات التي تربط بين التراجم بعضها ببعض، وبين الأبواب والأحاديث، كالتكميل والتبيين، والاستثناء بعد الإجمال، والتخصيص بعد العموم، وبيان الحكم الشرعي، وهي تساهم في فهم النصوص النبوية.

¹ المرجع السابق، (594/10).

² انظر: الهاشمي، لب الأبواب في التراجم والأبواب، (116/5). وانظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، (46/8).

المبحث الثالث: مواضع من التناسب في كتاب الأدب.

راعى الإمام البخاري -رحمه الله- في تصنيفه للصحيح التناسب بين الكتب وما تضمنه من أبواب وأحاديث تخدم موضوع الكتاب بأكمله، وتظهر براعة الترابط والتلاحم بعضها ببعض. وفي هذا المبحث سنحاول إبراز بعض أنواع التناسب في كتاب الأدب، وذلك من قبيل التمثيل لا الحصر، للوقوف على دلالاتها، وفهم أسرار مناسبتها.

المطلب الأول: تناسب كتاب الأدب بالكتاب الذي قبله والذي بعده.

يقع كتاب الأدب قبل كتاب (الاستئذان)؛ ويعد كتاب (اللباس)، وكلاهما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكتاب الأدب ومضامينه ومقاصده، ومن ذلك:

أولاً: مناسبة كتاب الأدب للكتاب الذي قبله - كتاب اللباس -:

جمع الإمام البخاري في كتاب اللباس آداباً تتعلق بالنفس وحفظها، ووجه التناسب بينه وبين كتاب الأدب، أنّ اللباس مؤثر على تمام الأدب، وله ضوابطه وتوجيهاته التي تحكمها آدابٌ تربوية واجتماعية، كستر العورة، واحترام خصوصية الآخرين، وعدم الكبر، وترك الإسراف، لذا جمع بين زينة الجسد باللباس وزينة الروح بالأدب. قال الهاشمي: "لما فرغ الإمام البخاري -رحمه الله- من كتاب (اللباس) والزينة، والطيب وأنواعه، وكان كثيراً منها يتعلق بأداب النفس، فأردفها بكتاب الأدب والبرّ والصلة والاستئذان والله أعلم"¹. وقال البلقيني: "وهذه التراجم كلها أي -تراجم كتاب اللباس- تقتضي آداباً في النفس، فأردف بما يتعلق بالأدب مع غير النفس، فقال كتاب الأدب"².

ثانياً: مناسبة كتاب الأدب للكتاب الذي بعده - كتاب الاستئذان -:

بعد أن صاغ البخاري -رحمه الله- نظرية الآداب والأخلاق في كتاب الأدب، جاء التمثيل الواقعي في كتاب الاستئذان؛ لما في الاستئذان من آداب جمّة ينبغي على المسلم أن يتمثلها ولا يكون ذلك إلا ممن تشرب نظرية الأدب.

¹ الهاشمي، لب الألباب في التراجم والأبواب، (427/4).

² البلقيني، ابي حفص عمر بن رسلان بن نصير، تراجم البخاري المسمى مناسبات أبواب صحيح البخاري لبعضها بعضها، تحقيق:

د. أحمد بن فارس السلوم، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1431هـ - 2010م، ص178.

قال البلقيني -رحمه الله-: "فلما تمت تراجم الآداب وما فيها من بر والصلة، وكان ذلك مما يتعلق بالآداب في أنفسنا، وفي الصحبة والخطاة، وما يتعلق بذلك، أردفه بما يتعلق بآداب من جاء إلى قوم أو دار غيره، كيف يصنع؟ فقال كتاب الاستئذان"¹، ونظم فقال:

لِيَأْسَ بِهِ التَّزْيِينُ فَأَنْظُرْهُ بَعْدَهُ كَذَا أَدَبٌ يُؤْتَى بِهِ بِالكَرَائِمِ
وَإِنَّ بِالْإِسْتِئْذَانِ حَلَّتْ مَصَالِحٌ بِهِ تُفْتَحُ الْأَبْوَابُ وَجَهَ الْمَسَالِمُ²

والناظر إلى ترتيب الكتابين يدرك مدى تعاضد العلاقة بينهما، والتناسب في ترتيبهما، فالاستئذان فرع من فروع الآداب، وأحكام الاستئذان تحكمها الآداب، كخفض الصوت، وإفشاء السلام، وغض البصر، وعدم النظر إلى عورات الآخرين وغيرها.. قال الإمام الكاندهلوي -رحمه الله-: "أن كتاب الاستئذان ليس بمستقل، بل هو جزء من "كتاب الأدب" ولك أن تقول: إنه كتاب في كتاب بمنزلة الاصطلاح المعروف: باب في باب، فإن الاستئذان أيضاً من الآداب ولذلك ذكره مسلم في (كتاب الآداب)"³.

فكلام الكاندهلوي يؤكد الصلة العميقة بين الكتابين، والبخاري -رحمه الله- هدف إلى إبراز موضوع الأدب كأصل من أصول الدين، فجعل لكل منهما كتاباً منفصلاً عن الاستئذان.

المطلب الثاني: التناسب في ترتيب أبواب كتاب الأدب.

كل باب من أبواب كتب الصحيح مرتبط بالباب الذي قبله والباب الذي بعده بمنظومة متناسقة، خدمة لموضوع الكتاب بأكمله، والمطلع على أبواب كتاب الأدب من صحيح البخاري؛ يلحظ أن ثمة نسقاً ينظمها، يزيد حُسناً وبيانياً ودقّةً في الترابط مع موضوع الكتاب، فيظهر الكتاب كوحدة موضوعية مترابطة من أوله إلى آخره. ومن أبرز من تنبه إلى هذا النوع من التناسب من شراح الصحيح الإمام العيني في شرحه "عمدة القاري" حيث نبه إلى هذا التناسب بين الأبواب خلال شرحه، مع بيانه لنوع

¹ البلقيني، تراجم البخاري المسمى مناسبات أبواب صحيح البخاري لبعضها بعضها، ص183.

² المرجع السابق، ص221.

³ الكاندهلوي، محمد زكريا بن يحيى (1402هـ)، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، تحقيق: تقي الدين الندوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1435هـ-2014م، (290/6).

التناسب؛ كأن يكون من باب المقابلة، أو المماثلة، أو للاشتراك في المعنى، أو لبيان الحكم، أو للاقتران، أو للسببية¹. وقد كان يشير إلى ذلك بقوله: "وجه المناسبة بين البابين"².

وقد سلك الإمام البخاري منهج القرآن الكريم في ترتيب الأبواب وتقديم الأولويات؛ "فبدأ ببر الوالدين، وثنى بزدي القربى، وثلث بالجار، ورع بالصاحب"³، محاكاة لما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ سَيِّئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ (النساء: 36).

(بر الوالدين):

فابتدأ الكتاب بالدائرة المركزية المتمثلة ببر الوالدين تنويهاً بأهميته، وذكر جملة من الأبواب التي تنظم هذه العلاقة؛ فبين أنهما أحق الناس بحسن الصحبة، فقال: (باب من أحق الناس بحسن الصحبة)، ثم نبه إلى محاذير في التعامل مع بر الوالدين، فقال: (باب لا يسب الرجل والديه)؛ وهو الحد الأدنى من البر، وقال: (باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين)، ثم بين أن لبر الوالدين فضل في إجابة الدعاء، فقال: (باب إجابة دعاء من بر والديه)، وبعد أن بين الموقف الإيجابي الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم تجاه والديه، بين الموقف السلبي وهو العقوق، وسلك فيه مسلك التهريب فقال: (باب عقوق الوالدين من الكبائر)، ثم انتقل إلى صلة رحم الوالدين، فقال: (باب صلة الوالد المشرك)، وقال: (باب صلة المرأة أمها ولها زوج)، (باب صلة الأخ المشرك).

(صلة الأرحام):

ثم أردف البخاري بعد ذلك الحديث عن العلاقات المحيطة بالأسرة، فنبه إلى صلة الأرحام، ثم بين فضلها وإثم قاطعها، والآثار المترتبة عليها من بسط في الرزق، فقال: (باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم)، ووصل من الله فقال: (باب من وصل وصله الله)، ثم أشار إلى أن درجة الإحسان التي ينبغي أن يرتقي إليها المسلم في تعامله مع أرحامه، وهي مقابلة القطيعة بالصلة فقال: (باب: ليس الواصل بالمكافئ).

¹ انظر: عجين، التناسب في صحيح البخاري، ص 13.

² للوقوف على أمثلة تبين ذلك ينظر: العيني، عمدة القاري، (249/1)، (132/2)، (16/3)، (21/3)، (121/3)، (260/3) وغيرها.

³ البلقيني، تراجم البخاري المسمى مناسبات أبواب صحيح البخاري لبعضها بعضها، ص 180.

(الرحمة عنوان التواصل):

وبعد أن عرض لأبواب صلة الرحم، ذكر جملة من الأبواب المتمثلة بمبدأ الرحمة، فقال: (باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبلها أو مازحها)، (باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته)، (باب وضع الصبي في الحجر)، (باب وضع الصبي على الفخذ)...، وذلك تنبيهاً إلى واجب الرحمة بالصغار والإحسان إليهم، ومداعبتهم، والدعاء لهم والقيام على شؤونهم، إشارة إلى أن ذلك يدخل في حق الابن على والديه من باب الأولوية، ثم تنبيهاً إلى أن علاقة الوالد بولده هي من مقتضيات الأبوة، ولأن برّ الوالدين لا يتأتى إلا بعد برّ الأبناء؛ فدعا إلى برّ الأبناء وهم صغار حتى يتسنى لأبنائهم برّهم وهم كبار.

(ديمومة الوجود):

وقبل أن ينتقل إلى دائرة أخرى؛ نبه إلى البر والإحسان بين الزوجين، فقال: (باب حسن العهد من الإيمان)، وذكر حديث خلائل خديجة¹، إشارة إلى أن طبيعة العلاقة الزوجية ينبغي أن تتسم بالبر والإحسان في الحياة وبعد الممات.

(الدائرة الأكبر: المجتمع):

ثم انتقل إلى فضيلة تبني هموم المسلمين ودورها في صيانة المجتمع فقال: (فضل من يعول يتيماً)، و(الساعي على الأرملة)، و(باب الساعي على المسكين)، من خلال عرض أحاديث تحث على السعي على المحتاجين من المسلمين²، لما يورث ذلك من إحساس بالمسؤولية اتجاه المسلمين، وهذا يُشكّل سواعد أساسية في بناء المجتمع الإسلامي المتراح والمتعاطف المتوادّ، تحقيقاً لقول رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»³.

(حسن الجوار بصلة الجار من أسس تماسك المجتمع):

ثم انتقل إلى العلاقات خارج محيط الأسرة، وابتدأ بالأقرب إلى الإنسان من خارج محيطه المتمثلة في علاقة المسلم بجيرانه، فقال: (باب الوصاة بالجار)، ثم (باب إثم من لا

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، حديث رقم: (6004)، (9/8).

² كالأحاديث: (6005، 6006، 6007) من صحيح البخاري، كتاب الأدب.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (10/8).

يأمن جاره بواقفه)، (باب لا تحقرن جارة لجارتها)، (باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، (باب حق الجوار في قرب الأبواب).

(الآداب مادة التواصل المجتمعي):

وأردف بعد ذلك جملة من الأبواب؛ التي ترشد المسلم إلى فعل الواجبات، والتحلي بالأخلاق والآداب، وكان في كل خُلُق ينبّه إلى اجتناب ما يخالفه، ثم بيّن حق الضيف وإكرامه.. وهكذا فقد سار الإمام البخاري في ترتيب أبواب كتاب الأدب بتقديم ما حقه من الأولوية، وأكثره أهمية، إلى ما دون ذلك، حتى اختتم الكتاب بباب (إذا تتأب فليضع يده على فيه).

وهذا الترتيب للأبواب شكّل وحدة موضوعية متكاملة مترابطة، يدرك القارئ من خلالها عمق الفكر التربوي للإمام البخاري، ومدى تأسيسه لركائز التربية الإسلامية، المستقاة من التربية النبوية، فقد استوفى في "كتاب الأدب" أصول القضايا التربوية، وأصل لها وفق أسس ومبادئ مبتدئاً بالأولى والأهم إلى ما دون ذلك.

المطلب الثالث: التناسب بين أبواب في الكتاب.

قد تُشكّل مناسبة بعض الأبواب في الكتاب التي وردت فيه، ولكن مع مزيد بحث وتدقيق دون تعسّف وتكلف؛ نجد هناك مناسبات عديدة لذلك الكتاب في الباب وإن غاب ذلك عن بعض الدارسين، ومن ذلك تناسب (باب قول النبي ﷺ خير دور الأنصار)، فقد جاءت هذه الترجمة قبل (باب الغيبة)، وبعد (باب ما يجوز من اغتيال أهل الفساد والريب)، فما مناسبة ذلك؟ قال ابن حجر: "إيراد هذه الترجمة هنا إشكال لأن هذا ليس من الغيبة أصلاً إلا إن أخذ من أن المفضل عليهم يكرهون ذلك؛ فيستثنى ذلك من عموم قوله ذكرك أخاك بما يكره، ويكون محل الزجر إذا لم يترتب عليه حكم شرعي، فأما ما يترتب عليه حكم شرعي فلا يدخل في الغيبة ولو كرهه المحدث عنه"¹. وقال العيني: "هذه الترجمة لا تليق ههنا لأنها ليست من الغيبة أصلاً. وأجيب: بأن المفضل عليهم يكرهون ذلك، فبهذا القدر يحصل الوجه لإيراد هذه الترجمة ههنا"². فكان ما ذكره ابن حجر والعيني يؤكد على التناسب بين الترجمة وما قبلها وما بعدها.

¹ ابن حجر، فتح الباري، (471/10).

² العيني، عمدة القاري، (128/22).

وبذلك يتضح تناسب إيراد البخاري هذا الباب في كتاب الأدب، ومناسبته بالباب الذي قبله وما بعده.

المطلب الرابع: التناسب بين الترجمة والحديث.

ترتبط تراجم الإمام البخاري بالأحاديث التي يوردها تحتها بعلاقة تناسبية تنقسم إلى نوعين¹:

أولاً: الجلية: وهي الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثير تدبر وتأمل، وإنما هي الظاهر المنقح في الذهن مباشرة؛ "فتكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد في مضمونها"².

ثانياً: الخفية: وهي التي تحتاج إلى قوة عملية ودقة فكرية وتوقد ذهني حاضر؛ "لأنها لا تدرك مطابقتها لمضمون الباب إلا بالنظام الفاحص، والتفكير الناقد"³.

وكثيراً ما يشير العلماء إلى مناسبة الترجمة للحديث الذي يورد تحتها، ومن ذلك:

ما أورده الإمام البخاري في (باب حسن العهد من الإيمان)، من طريق عائشة رضي الله عنها، قالت:

«ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعها يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان رسول الله ﷺ ليذبح الشاة ثم يهدي في خُلَّتْهَا منها»⁴. فإن قيل ما وجه المناسبة بين الحديث والترجمة؟ فالجواب: أنّ من حسن عهد النبي ﷺ بزوجه خديجة بعد وفاتها ذبحه للشاة وتوزيعها على صاحباتها، وهو داخل في خلق وفاء الزوج لزوجه بعد الوفاة⁵.

¹ انظر تفصيل ذلك: الزين، تراجم أحاديث الأبواب دراسة استقرائية في اللغة واصطلاح المحدثين من خلال صحيح البخاري، ص158-162.

² الزهراني، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر (ت: 1427هـ)، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1، دار الهجرة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ-1996م، ص117.

³ المرجع السابق، ص117-118.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، حديث رقم: 6004، (9/8). قوله: خلَّتْها: أي أخلتها وأحبابها من قريبات ومعارف وصديقات، وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وفاء لها وحفظا لعهدا، من كلام المحقق.

⁵ ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (10/436).

وفي (باب ستر المؤمن على نفسه) ذكر الإمام البخاري في الباب حديثين:

ذكر حديثاً رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه. وثنى بحديث من طريق ابن عمر: أن رجلاً سأل ابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم"¹. قال ابن حجر: "وقد استشكلت مطابقة حديث النجوى عقب حديث الباب للترجمة من جهة أنها معقودة لستر المؤمن على نفسه؛ والذي في الحديث ستر الله على المؤمن". فأجاب عن ذلك: "أن الحديث مصرح بدم من جاهر بالمعصية فيستلزم"².

وقال الهاشمي: "حديث أبي هريرة مصرحٌ بندم من جاهر بالمعصية، فيستلزم مدح من يستر، وأيضاً: فإن ستر الله مستلزمٌ لستر المؤمن على نفسه؛ أما حديث ابن عمر: فالغرض منه قوله تعالى: (إني سترت عليك في الدنيا)؛ فإن ستر الله على المؤمن يستلزم ستر المؤمن على نفسه"³.

وبذلك يتضح تناسب حديث النجوى مع ترجمة الباب، والأمثلة على ذلك كثيرة⁴.

ومن التناسب في هذا السياق: تناسب الآيات الواردة في الترجمة والحديث المدرج

تحتها، ومن ذلك:

ما ذكره في باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: 90] وقوله: ﴿إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: 23] ﴿ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لَيْسَ صِرَتَهُ اللَّهُ﴾ [الحج: 60] وترك إثارة الشر على مسلم أو كافر. فأورد حديثاً من طريق عائشة رضي الله عنها قالت:

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم: 6079، (20/8).

² ابن حجر، فتح الباري، (487/10).

³ الهاشمي، لب الالباب في التراجم والأبواب، (452/4).

⁴ للوقوق على مثل هذه الأمثلة، أنظر: ابن حجر، فتح الباري، (413/10)، (472/10)، (485/10).

"مكث النبي ﷺ كذا وكذا، يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي، قالت عائشة: فقال لي ذات يوم: "يا عائشة، إن الله أفتاني في أمر استفتيته فيه: أتاني رجلان، فجلس أحدهما عند رجلي والآخر عند رأسي، فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، يعني مسحوراً، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم، قال: وفيم؟ قال: في جف طلعة ذكر في مشط ومشاقة، تحت رعوفة في بئر ذروان، جاء النبي ﷺ فقال: «هذه البئر التي أريتها، كأن رعوس نخلها رعوس الشياطين، وكأن ماءها نقاعة الحناء» فأمر به النبي ﷺ فأخرج، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله فهلا، تعني تنتشرت؟ فقال النبي ﷺ: «أما الله فقد شفاني، وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شراً» قالت: ولبيد بن أعصم، رجل من بني زريق، حليف لليهود¹.

قال ابن بطال: وجه الجمع بين الآيات المذكورة وترجمة الباب مع الحديث، "أنه لما أعلم الله عباده أن البغي ينصرف على الباغي بقوله: (إنما بغىكم على أنفسكم) وضمن تعالى نصره لمن بغى عليه بقوله تعالى: (ثم بغى عليه لينصرنه الله) كان الأولى لمن بغى عليه شكر الله على ما ضمن من نصره، ومقابلة ذلك بالعفو عمن بغى عليه، وكذلك فعل النبي باليهودي الذي سحره حين عفا عنه"². وقال ابن حجر في بيان وجه المطابقة بينهما: "ويحتمل أن يكون مطابقة الترجمة للآيات والحديث أنه ﷺ ترك استخراج السحر خشية أن يثور على الناس منه شر، فسلك مسلك العدل في أن لا يحصل لمن لم يتعاط السحر من أثر الضرر الناشئ عن السحر شر، وسلك مسلك الإحسان في ترك عقوبة الجاني"³.

المطلب الخامس: التناسب في اختيار أحاديث الباب الواحد.

رتب الإمام البخاري الأحاديث في الباب الواحد، بحسب الغرض الذي من أجله يسوق تلك الأحاديث، فتارة يبدأ بالحديث العالي ويتبعه ذكر الحديث النازل، وتارة يبدأ بالحديث المعنعن ثم يردف به حديثاً آخر فيه التصريح بالسماع، وتارة يبدأ بالحديث الأكثر دلالة على الحكم الفقهي ثم يتبعه بالشواهد وهكذا... كل ذلك وفق منهج محكم دقيق، كلما نظر الباحث فيه وتحرى ذلك؛ عظم مقدار هذا السفر العظيم في نظره، وارتفعت مكانة صاحبه⁴.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: إن الله يأمر بالعدل ...، حديث رقم: 6063، (18/8).

² ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (257/9).

³ ابن حجر، فتح الباري، (480/10).

⁴ انظر: القضاة، وصبري، دراسات في مناهج المحدثين، ص31.

وحيثما يسوق الإمام البخاري أكثر من حديث في الباب الواحد، يكون لترتيبه إياها تناسب يظهر من خلاله ترابط تلك الأحاديث بعضها ببعض. ومن ذلك: ما جاء في (باب تسميت العاطس إذا حمد) حيث ذكر البخاري تحت الباب حديثين: أحدهما: أشار البخاري إليه بقوله: فيه أبو هريرة¹،

وثانيهما: ذكر البخاري نصه من حديث البراء رضي الله عنه، قال: "أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا بعبادة المريض، واتباع الجنابة، وتسميت العاطس، وإجابة الداعي، ورد السلام، ونصر المظلوم"² والغرض منه: قوله: (وتسميت العاطس)³. فإن قيل: ليس في حديث البراء التفصيل الذي في الترجمة وإنما ظاهره أن كل عاطس يشمت على التعميم وإن لم يحمد الله؛ لقوله فيه: (أمرنا رسول الله.. بتسميت العاطس) وهو لفظ عام؛ فجوابه ما قاله ابن بطلال: "إنما أشار البخاري إلى حديث أبي هريرة الذي لم يأت بنصه في الباب، وذكره في الباب بعد هذا وفي الباب الآخر الذي بعده، وفيه أن النبي عليه السلام ذكر فيه التسميت للعاطس إذا حمد الله على ما تقدم في حديث أنس قبل هذا، فدل حديث أبي هريرة وأنس أن قول البراء أمرنا رسول الله بتسميت العاطس، وإن كان ظاهرة العموم؛ فمعناه الخصوص، وأن المراد به بعض العاطسين، وهم الحامدون لله تعالى، فكان ينبغي للبخاري أن يذكر حديث أبي هريرة بنصه في هذا الباب ويجعله بعد حديث البراء، وهذا من الأبواب التي عجلته المنية عن تهذيبها، لكن قد فهم المعنى الذي ترجم به"⁴.

قال ابن حجر: "والواقع أن هذا الصنيع لا يختص بهذه الترجمة، بل قد أكمل منه البخاري في الصحيح، فطالما ترجم بالتقييد والتخصيص؛ كما في حديث الباب من إطلاق أو تعميم، ويكتفى من دليل التقييد والتخصيص بالإشارة، إما لما وقع في بعض طرق الحديث الذي يورده، أو في حديث آخر؛ كما صنع في هذا الباب؛ فإنه أشار بقوله فيه أبو هريرة إلى ما ورد في حديثه من تقييد الأمر بتسميت العاطس بما إذا حمد، وهذا أدق التصرفين،

¹ أي حديث: "إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله، فحق على كل مسلم سماعه أن يشمته، وأما التثاؤب: فإنما هو من الشيطان، فليرده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان". البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس، ويكره من التثاؤب، حديث رقم (6223).

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تسميت العاطس إذا حمد، حديث رقم: 6222، (49/8).

³ انظر: الهاشمي، لب الألباب في التراجم والأبواب، (35/5).

⁴ ابن بطلال، شرح ابن بطلال، (366/9).

ودلاً إكثاره من ذلك على أنه عن عمد منه لا أنه مات قبل تهذيبه، بل عد العلماء ذلك من دقيق فهمه، وحسن تصرفه؛ في إثارة الأذى على الأجل شحداً للذهن، وبعثاً للطالب على تتبع طرق الحديث، إلى غير ذلك من الفوائد¹. وقال ابن المنير: "الترجمة مطلقاً بالحمد، والحديث مطلق، فنَبَّه البخاري على أن الحديث ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بالحديث الذي أورده قبل هذه الترجمة، وقد تضمنت اشتراط الحمد"².

ف نجد أن لترتيب الأحاديث في هذا الباب مقصداً، فمن حديث أبي هريرة قصد البخاري تقييد تسميت العاطس بالحمد، ثم أورد حديث البراء بعده تأييداً.

المطلب السادس: التناسب في اختيار الحديث الأول من الصحيح والحديث الأخير منه ووجه العلاقة بينهما.

تتنوع الأحاديث النبوية في الجامع الصحيح تنوعاً تتحقق به المناسبة، وتقوى به الروابط والعلاقات المنبثقة من هذا التناسب، وقد قصد البخاري -رحمه الله- في هذا النوع من التناسب الاستدلال على لحمية الحديث الأخير في الصحيح وتعاضده مع الحديث الفاتح، ويضم الحديث الفاتح في كتاب الأدب مع الحديث الخاتم فيه تناسباً بليغاً وارتباطاً وثيقاً. فقد صدر الإمام البخاري كتاب الأدب بما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»³، "فاعتبر هذا الحديث أساساً في بناء العلاقات؛ فالصلاة صلة بالله تعالى، وبر الوالدين علاقته مع المسلمين؛ لأن من يبرهما يبر غيرهما، والجهاد علاقته بأعداء الدين، وتخصيص هذه الأمور الثلاثة؛ لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات (فإن من ضيَع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها عليه وعظيم فضلها؛ فهو لما سواها أضيع، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه؛ كان لغيرهما أقل برًا، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين؛ كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك"⁴.

¹ ابن حجر، فتح الباري، (603\10-604).

² ابن المنير، المتواري على أبواب البخاري، ص372.

³ البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: 5970، (2/8).

⁴ انظر: الهزايمة، لؤي عباس، مقال: الجانب الاجتماعي في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري، موقع أهل السنة والجماعة،

<http://www.njatway.net/index.php>

وخاتمة كتاب الأدب هي الصلة الممتدة من نسيج مفتتح الكتاب، والباعثة لمعاني الكتاب ومقاصده، فجاء الختم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله، كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب: فإنما هو من الشيطان، فإذا تتأهب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تتأهب ضحك منه الشيطان"¹.

ونلاحظ التناسب بين الحديثين من عدة وجوه:

● استفتح الإمام البخاري كتاب الأدب بأوجب الواجبات على المسلم وهو برّ الوالدين، واختتمه بأدناها وهو تسميت العطاس إذا حمد، فافتتح بما هو أبلغ وأعظم أهمية وأحب عمل إلى الله سبحانه وتعالى، واختتم فيما هو دون ذلك.

قال العيني: والحديث مضى في مواقيت الصلاة في: باب فضل الصلاة لوقتها، بعين هذا الإسناد والمتن. فإن قلت: تقدم في: باب الإيمان إن إطعام الطعام خير أعمال الإسلام وأحب العمل أدومه، فما وجه الجمع بينه وبين حديث الباب؟ قلت: الاختلاف بالنظر إلى الأوقات أو الأحوال أو الحاضرين، فقدم في كل مقام ما يليق به أو بهم"².

● في حديث الافتتاح يذكر أحب الأعمال إلى الله، وفي حديث الخاتم يذكر عمل يحبه الله وهو العطاس، فكأن البخاري افتتح الكتاب بأعمال يحبها الله والتي هي ذروة الأعمال وأهمها وأحبها إليه وهي الصلاة والبر والجهاد، واختتمه كذلك بفعل يحبه الله، كأنه يشير: إن أطعت الله في أحب الأعمال إليه فحتما ستطيعه فيما هو دون ذلك.

● ومن التناسب ما ترجم له البخاري للحديث الخاتم بقوله: (باب إذا تتأهب فليضع يده على فيه) فافتتاح الفم عند حركة التثاؤب تُظهر الإنسان في صورة على غير طبيعته، فيضحك منه الشيطان، لذا دعانا ﷺ أن نردّ التثاؤب قدر المستطاع، قال ابن بطال: "إنّ الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائبا لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه"³.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا تثائب أحدكم فليضع يده على فيه، حديث رقم: 6226، (50/8).

² العيني، عمدة القاري، (22/ 81-82).

³ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (370/9).

وكذلك الحديث الأول من الباب الذي يدعو إلى برّ الوالدين وينهى عن عقوقهما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: 23]، فأمرنا سبحانه وتعالى ببر الوالدين، ونهى عن عقوقهما حتى بأدنى القول السيء لهما وهو التأفف. وكما نعلم أن "الآف" تخرج من الفم تلقائياً كما يخرج التثاؤب، فيرتبط التناسب بينهما؛ أن هذا الفم الذي أمرت بإغلاقه ما استطعت في أدنى الأمور وهو التثاؤب، فالأحق والأولى ألا يصدر منه ما يُخلّ ببرهما والذي هو أعظم عند الله تعالى، فقد قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»¹. فإن كان ضبط الأذى مطلوباً فمن باب أولى ضبط الأعلى أكد وأكد.

المطلب السابع: التناسب في اختيار الحديث الخاتم في كتاب الأدب:

من بديع التناسب في الصحيح ما يسمى بـ "براعة الاختتام" وهو حسن اختيار الإمام البخاري للحديث الأخير في كل كتاب من كتب الصحيح، وتناسقه مع موضوع ذلك الكتاب، ولقد اعتنى الإمام ابن حجر بهذا النوع من المناسبات وبيّن أنه لم ير من نبه عليه، فقال: "ومما اتفق له من المناسبات التي لم أر من نبه عليها؛ أنه يعتني غالباً بأن يكون الحديث الأخير من كل كتاب من كتب هذا الجامع مناسبة لختمه ولو كانت الكلمة في أثناء الحديث"².

ف نجد أنّ الإمام البخاري اختتم كتاب الأدب بباب (إذا تتأب فليضع يده على فيه) وفيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله، كان حقا على كل مسلم سماعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب: فإنما هو من الشيطان، فإذا تتأب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تتأب ضحك منه الشيطان"³.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان، حديث رقم: 6474، (100/8).

² ابن حجر، فتح الباري، (543/13).

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا تتأب أحدكم فليضع يده على فيه، حديث رقم: 6226، (50/8).

وبراعة الاختتام بهذا الحديث من وجوه:

• قال الكاندهلوي: "وأما براءة الاختتام فقال الحافظ-يقصد ابن حجر-: "البراعة فيه في قوله "فليرده ما استطاع" وعندي في قوله "يرحمك الله" فإنه كالنص على ذلك لما في حديث سلمة ابن الأكوع عند البخاري لما قال النبي ﷺ لعامر بن الأكوع: "يرحمه الله، قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به"¹. وهكذا في العرف لفظ المرحوم يختص بالميت"².

والذي نراه أن الإمام ابن حجر قصد من براءة الاختتام من قوله: (فليرده ما استطاع) "أي يأخذ في أسباب رده"³، وهكذا القياس في جميع الآداب التي سبقت من كتاب الأدب، فيلزم رد مخالفها ويؤخذ بأسباب ذلك ما استطاع، والآداب كلها تحتاج الى مجاهدة فأمر بأخذ الأسباب في أدنى الأعمال، حتى يلتزم ذلك في أوجبها.

• ويمكن أن يقال: أنه بعدما انتهى من أوجب الواجبات وهو بر الوالدين، ثم الصلة، ثم الجار، ثم الصحبة، ثم التي تليها..، فهذا كتاب الأدب وهذا ما جاء فيه، فافعل ما استطعت منه مراعيًا لأوجبها وأكثرها أهمية، كما جاء في قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ لِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (فاطر: 32). فإذا أتملت مراحل الأدب ووصلت إلى أدنى الأدبيات وهو رد التثاؤب وتشميت العاطس، فقد استكملت الأدب كله، وذلك هو الفضل كله.

ف نجد أن موقع الحديث في خاتمة كتاب الأدب يشير إلى موقعه التناسبي العظيم، الذي يوجه المسلم إلى التحلي بالآداب النبوية ما استطاع، وذلك غاية المرام وحسن الختام.

أما وجه مناسبة ورود هذا الحديث الخاتم في كتاب الأدب فهو كما يلي:

• تتصل المناسبة بأن تشميت العاطس من جملة الآداب التي أوردها الإمام البخاري في كتاب الأدب.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، غزوة خيبر، حديث رقم: 4196، (130/5).

² الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، (288/6).

³ ابن حجر، فتح الباري، (612/10).

• ويتصل بجملة (كان حقا على كل مسلم سمعه..)، وهي من الآداب التي أرشدنا إليها النبي ﷺ، وأرشد المسلم إلى التحلي بها، ومن شأنها تعزيز الروابط الاجتماعية بين أبناء المسلمين، فقد أورد البخاري من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس¹.

• وتتصل كذلك من قوله (فليرده ما استطاع)، فكما أمر سبحانه أن يُردّ التثاؤب الذي مصدره من الشيطان، فكذلك في سائر الأعمال والآداب التي ذُكرت سابقاً في كتاب الأدب، فعلى المسلم أن يحرص على الالتزام بالآداب التي شرعت سابقاً، ويجتنب ما حذر منها؛ يردّ الشيطان عنه وإغلاق أبوابه ما استطاع، حتى يتحلّى بتلك الآداب الإسلامية. وهذا من لطيف التناسب الذي أودعه الإمام البخاري في أحاديث خواتم الكتب، وكيفية ربطها وتناسقها مع موضوع الكتاب الذي وردت فيه.

المطلب الثامن: التناسب بين الحديث الأخير في الباب والكتاب الذي يليه.

ومن التناسب البديع اختيار الإمام البخاري للحديث الأخير في الباب ليتناسب مع الكتاب الذي يليه، فإن قيل ما دلالة التناسب بين الحديث الخاتم لكتاب الأدب وكتاب الاستئذان؟ فالجواب: أن الحديث الأخير في كتاب الأدب يشير إلى حق من حقوق المسلم على المسلم؛ بأنه إذا سمعه عطس ثم حمد الله؛ كان حقاً على من سمعه أن يشمته، كما أنه يتحتم على المسلم الاستئذان عند الدخول على الآخرين، فكلا الأمرين لهما دلالة تناسبية تدور حول آداب العلاقات الاجتماعية، التي تعمل على تغذية الروابط الاجتماعية وتعزيز الصلات الأخوية بين أفراد المجتمع. وكما أن الاستئذان من جملة الآداب التي يجب أن يتحلّى بها المسلم كما ذكر ذلك الإمام الكاندهلوي، وأن كتاب الاستئذان ليس بمستقل، بل هو جزء من كتاب الأدب².

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، حديث رقم: 1240، (71/2).

² ينظر: الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، (290/6).

يلفت نظر القارئ انتهاء الحديث بقوله: أما التثاؤب فإنما هو من الشيطان...، حتى إذا ما انتقل إلى كتاب الاستئذان تذكر أنّ التثاؤب من الشيطان وهو باب من أبوابه، وأمر بكظمه ما استطاع حتى لا يبلغ الشيطان مبلغه منه، ويبدو بصورة بشعة فيضحك منه، وفيه أرشد إلى وسيلة إغلاق هذا الباب على الشيطان بوضع اليد على الفم، وهكذا الأمر في الاستئذان حيث جعل الله وسيلة طلب الاستئذان عند الدخول على الآخرين حتى لا ترى عوراتهم، فيظهر وجه التناسب في الحرص على إغلاق أي مدخل يستطيع أن يلج الشيطان منه، حتى يبقى المسلم في نظره لنفسه وفي نظر الآخرين بصورة حسنة وجميلة.

وبذلك نجد ظاهرة التناسب في صحيح البخاري وتحديدا في "كتاب الأدب" منه ما هو جلي ومنه ما يحتاج إلى إعمال الفكر والنظر لتحصيل التناسب الوارد. وبذلك تتضح دقة الإمام البخاري وسعة علمه وفهمه الدلالات التناسبية بينها، حتى يجعلها في منظومة بديعة متناسقة، فتجعل أبواب الكتاب وحدة موضوعية متكاملة مع موضوع الكتاب، وهذا دليل على عبقريته -رحمه الله- في التصنيف.

الخاتمة:

أولاً: أهم النتائج: توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها:

1. لمعرفة التناسب في صحيح البخاري أهمية في الكشف عن أسرار ترتيبه، وفهم منهج الإمام البخاري في كتابه.
2. للتناسب في صحيح البخاري دلالات تشير إلى غاية الترابط والتناسب بين الأبواب، وبين الأحاديث والأبواب، كالتكميل والتوضيح، والاستثناء بعد الإجمال، والتخصيص بعد العموم، والبيان للحكم الشرعي.
3. تجلت ظاهرة التناسب في كتاب الأدب من صحيح البخاري من خلال: مناسبة كتاب الأدب للكتاب الذي قبله والذي بعده، والتناسب بين الأبواب، والتناسب في الحديث الأول من الكتاب والأخير منه، والتناسب في اختيار الحديث الخاتم، والتناسب في اختيار الحديث الأخير والكتاب الذي يليه وغيره.

ثانياً: التوصيات:

1. التوسع في دراسة ظاهرة التناسب في صحيح البخاري، ودراسة كتب أخرى لم تُخدم، واستكمال البحث في علم المناسبة، ومحاولة الكشف عن أنواع أخرى من المناسبات فيه، لأن الدراسات في هذا المجال ما زالت بكراً وما تزال تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة.
2. الكشف عن دلالات أخرى للتناسب في صحيح البخاري، وإبراز أهميتها في فهم النصوص النبويّة؛ لأن ما جاء في هذه الدراسة ما هو إلا محاولة جزئية يستتير بها القارئ للوقوف على أهمية هذا العلم العظيم.

قائمة المصادر والمصادر:

1. القرآن الكريم.
2. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت: 256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.
3. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (449هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، 1423هـ - 2003م.
4. البلقيني، ابي حفص عمر بن رسلان بن نصير، تراجم البخاري المسمى مناسبات أبواب صحيح البخاري لبعضها بعضها، تحقيق: د. أحمد بن فارس السلولم، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1431هـ - 2010م.
5. البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر (885هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ-1995م.
6. ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم (733هـ)، تراجم البخاري، تحقيق: علي بن عبدالله، ط1، 1991م.
7. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ - 1987م.
8. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379م.
9. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (852هـ)، هدى الساري مقدمة فتح الباري، دار الكتب العلمية، 2000م.
10. الخطابي، أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي (388هـ)، أعلام الحديث شرح صحيح البخاري، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط1، جامعة أم القرى، 1409هـ.
11. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
12. الزين، علي بن عبد الله، تراجم أحاديث الأبواب دراسة استقرائية في اللغة واصطلاح المحدثين من خلال صحيح البخاري، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع5، 1412هـ.
13. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ - 1957م.
14. الزهراني، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر (1427هـ)، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1، دار الهجرة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ-1996م.

15. الزايدي، محمد فرج، ارشاد القاري إلى منهج الحافظ ابن حجر في توجيه مناسبات الإمام أبي عبد الله البخاري (من أول الكتاب إلى باب الزكاة)، مجلة العلوم الشرعية، العدد الرابع.
16. السبتي الفهري، أبو عبد الله محمد بن عمر، ترجمان التراجم على أبواب صحيح البخاري، تحقيق: الأستاذ الدكتور محمد رستم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2008م.
17. عجبن، علي إبراهيم سعود، التناسب في صحيح الإمام البخاري "دراسة تأصيلية"، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، 2010م.
18. العيني، أبو محمد بدر الدين بن محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين (855هـ) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
19. الفخر الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت:606هـ)، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
20. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بفارس بن زكريا القزويني الرازي (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
21. القضاة، أمين، وعامر صبري، دراسات في مناهج المحدثين، دار الحامد، 2017م.
22. القطان، مناع بن خليل (1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف، 1421هـ- 2000م.
23. قنديل، غادة عمر محمد، دلالات التناسب اللغوي في صحيح البخاري: دراسة تحليلية أسلوبية، جامعة بيرزيت، كلية الآداب، دائرة اللغة العربية وآدابها، 2017م.
24. الكاندهلوي، محمد زكريا بن يحيى (1402هـ)، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، تحقيق: نقي الدين الندوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1435هـ- 2014م.
25. الكرمانى، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين (ت: 786هـ)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1401هـ - 1981م.
26. الكشميري، محمد أنور شاه بن معظم شاه (ت: 1353هـ)، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1426هـ - 2005م.
27. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: 804هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، دار النوادر، دمشق- سوريا، 1429هـ - 2008م.
28. مشاهرة، مشهور موسى، التناسب القرآني عند الإمام البقاعي -دراسة بلاغية-، الجامعة الأردنية، 2001م.
29. ابن المنير، ناصر الدين، المتواري على أبواب البخاري، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1411هـ-1990م.

30. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الخزرجي (711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
31. مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ط4، دار القلم، دمشق، 1426هـ - 2005م.
32. الهزليمة، لؤي عباس، مقال: الجانب الاجتماعي في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري، موقع أهل السنة والجماعة، <http://www.njatway.net/index.php>.
33. الهاشمي، أبي محمد عبد الحق بن عبد الواحد، لب الالباب في التراجم والأبواب، ط2، دار النوادر، سورية-دمشق، مج1، 1432هـ-2011م.